أورشليـــم

القرية التى كانت خاوية على عروشها

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

بعد وفاة نبى الله سليمان سنة ٩٣١ق. م، تنازع أبناؤه الملك واشتد الصراع بين ولديه يربعام ورحبعام، مما أضعف المملكة، فانقسمت إلى دولتين سنة ٩٢٧ق. م.

١) دولة إسرائيل فى الشمال، وعاصمتها نابلس، بزعامة يربعام، وقد كانت نهاية هذه الدولة على يد سرجون الثانى الآشورى سنة ٧٢٢ق. م، وكان آخر ملوكها هوشع من أيلة.

٢) دولة يهوذا فى الجنوب، وعاصمتها أورشليم، بزعامة رحبعام، وقد سقطت فى أيدى الملك البابلى نبوخذ ناصر(بختنصر) سنة ٥٨٦ق. م فى آخر عهد ملوكها صدقيا.

دعنا من مملكة الشمال فالأحداث التى نحن بصددها وقعت فى أورشليم [١] عاصمة دولة يهوذا.

كان واضحًا منذ أن انقسمت دولة سليمان أنها ستتعرض لهجمات أعدائها، تنبأ بهذا أرميا النبى.

---

(١) أورشليم: هى التى كانت تعرف باسم يبوس، عاصمة اليبوسيين، ثم إيليا فى عهد الرومان، ثم القدس أو بيت المقدس فى العصر الإسلامى، فى حديث لرسول الله أنه قال: ((من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة، فلينظر إلى القدس)). رواه ابن عباس.

فى قرية اسمها قرية العنب، إحدى القرى القريبة من أورشليم، كان يعيش نبى الله عزير[1].

ذات يوم.. استعد عزير لمغادرة قريته إلى جهة ما، فاقتطف بعض ثمرات التين ووضعها فى سلة، وعصر بعض عناقيد العنب، واحتفظ بعصيرها فى وعاء، وركب حماره فى طريقه إلى حيث يشاء.

كانت أورشليم فى ذلك الوقت قد خرَّبها الملك البابلى نبوخذ نصر، وحطم هيكل سليمان، واستولى على ما فيه من ذهب وكنوز.

تعجب عزير مما يراه.. هذه المدينة التى كانت بالأمس عامرة بالحياة، تموج فيها الحركة، تعلو الفرحة والابتسامة وجوه الناس.. ما بالها اليوم، صارت خرابًا؟! وجوه الناس كالحة عابسة، فقال فى نفسه:

﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

كان طول الطريق قد أجهد عزير، فاستند إلى جدار حائط متهالك وترك حماره يرعى الكلأ، ونام.

بعد حين..

استيقظ عزير من نومه، فسمع هاتفًا يناديه:

- يا عزير.. كم لبثت؟

قال عزير:

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

---

(١) هو عزير (عزرا) بن سرايا بن حلقيا بن شلوم بن صادق، ينتهى نسبه إلى هارون بن عمران (أخى موسى). ذكره الثعلبى ص٤٠٠، والإصحاح الأول من عزرا، له سفر باسمه أحد أسفار العهد القديم، يتكون من عشرة إصحاحات.. ذكره القرآن الكريم وأنكر على اليهود ما يدعونه بأن عزير ابن الله، جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

عند ذلك، سمع عزير من يقول لـه:

﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

فـى دهشـة، بحـث عزيـر فـى جـراب متاعـه، فـإذا التـين وعصـير العنـب مـازالا طازجين، لم يمسهما العفن.

فجاءه صوت الهاتف يناديه:

﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وكبرت الدهشة على وجه عزير، وهو ينظر إلى حماره، لقد كان مجرد هيكل عظمى، لكن سرعان ما كساه اللحم، وجرت الدماء فى عروقه، ثم نهق، دليلاً على أنه صار حيًا..

عاد بعد ذلك عزير.. بعد مائـة عام إلـى داره فـى قرية العنـب، فرأى معالمها قد تغيرت.. دروبها وشوارعها تبدلت عما كانت عليه من قبل، حتى الناس أنكروا معرفتهم به. أهله لم يعرفوه!! امرأة عجوز كان عمرها مائـة وعشرين عامًا.. لقد تركها، وكان عمرها عشرين عامًا، لكن وجهها غضنته السنون، وانحنى ظهرها، وابيض شعرها، لولا بقية من ذاكرتها أسعفتها، فتذكرته، إنها قدرة الله ومشيئته.

فهل ستعود أورشليم عامرة كما كانت؟، لقد شاء الله لعزير أن يشترك فى إعمار أورشليم بعد خروج الجيش البابلى، وعودة اليهود من بابل إليها.

**** زمن هذه الأحداث:**

واضح من أحداث التاريخ أن خراب أورشليم كان على يد الملك البابلى نبوخذ ناصر (بختنصر) الذى استولى عليها سنة ٥٨٦ ق. م.

وأثناء المائة عام التى نامها عزير تغيرت الأمور، استطاع قورش [1] ملك الفرس أن ينتصر على البابليين، ويستولى على أملاكهم، ومنها أورشليم.

---

(١) قورش: مؤسس الدولة الفارسية (٥٦٠ق. م - ٥٢٩ق. م) المنجد ص٤٢٥.

صحيح أن القرآن القريم قد أغفل الحديث عن زمن عزير، وكل ما جاء فى العهد القديم عن عزرا [١] أنه حضر فترة حكم البابليين لأورشليم، أى أنه عاش من حوالى سنة ٥٥٠ ق. م إلى سنة ٤٥٠ ق. م، يؤكد هذا ما جاء فى موسوعة المنجد أن عزرا عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد، معروف أن قورش هذا هو الذى أعاد بناء الهيكل، كان ذلك بفضل إحدى اليهوديات أستير [٢] التى تزوجت من أخسويرش الفارسى.

وهذا يعنى أن عزرا عاش فى فترة سابقة لأرمياء النبى [٣].

على أننا يجب أن نشير هنا إلى أن أورشليم هذه ما كادت تخرج من نير استعمار الفرس، حتى استولى عليها الإسكندر الأكبر، لتصبح ضمن إمبراطوريته الواسعة.

فلما استولى الرومان على أملاك الإسكندر ومن تبعه من اليونانيين، دخلت أورشليم والتى أصبح اسمها (إيليا) فى نطاق الدولة الرومانية سنة٣٠ق. م.

ثم شاء الله لحكمة أرادها أن يستعيد الفرس قوتهم، وأن يهاجموا الرومان فى عقر دارهم، كان ذلك بواسطة خسرو أبروبر سنة ٦١٤م، وهى الحرب التى تحدث عنها القرآن الكريم فى سورة الروم [٤].

ثم كان استيلاء العرب المسلمين [٥] على إيليا، التى سموها باسم القدس، كان ذلك سنة ١٥ هـ (٦٣٦م) وجاء عمر بن الخطاب إلى القدس، وتسلم مفاتيح المدينة، وعقد معاهدة صلح مع القساوسة على دفع الجزية والسلام مع أهل القدس، وأقام فيها مسجدًا عرف بمسجد عمر.

واستمرت القدس خاضعة للحكم العربى الإسلامى طوال عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم الأمويين والعباسيين.

---

(١) راجع الإصحاح الأول من عزرا أحد أسفار العهد القديم.
(٢) أستير: إحدى بنات اليهود، لها سفر باسمها أحد أسفار العهد القديم.
(٣) المنجد ص٣٥٠.
(٤) راجع قصة أدنى الأرض وأحداثها. أحد أبواب هذا الكتاب.
(٥) راجع دراسة للمسجد الحرام أحد أبواب هذا الكتاب.

حتى بعد أن تفككت الدولة الإسلامية إلى دويلات، كانت القدس تابعة لمصر خلال حكم الدولة الفاطمية، ثم الدولة الأيوبية التى تحمل رجالها بسالة الدفاع عنها فى مواجهة الصليبيين فى الفترة من ١٠٩٩م إلى ١١٨٧م.

حتى استطاع البطل صلاح الدين الأيوبى، أن يطهر القدس من الصليبيين والشرق العربى، ويطاردهم ويتتبعهم خارج حدود مصر، لتبقى القدس عربية إسلامية خالصة.

وإذا كانت القدس تخضع الآن للسيطرة الصهيونية، فلعل الأيام القادمة تقيض لها من يخلصها منهم.

**** موقع أورشليم (القدس) :**

تقع القدس فى دولة فلسطين العربية الإسلامية.

مع أن القدس لا تطل على بحار أو محيطات هامة، إلا أن لها أهمية استراتيجية ودينية، فيها توجد مقدسات إسلامية: المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة، وحائط البراق والساحة الكبيرة.

ومن الآثار المسيحية: يوجد عدة كنائس أهمها كنيسة القيامة.

ومن الآثار اليهودية: حائط المبكى الذى يتباكى عنده اليهود حسرة على ماضيهم.

تقع أورشليم القدس على ارتفاع حوالى١٠١٦قدمًا من سطح البحر، فى جنوبها توجد جبال الخليل، على بعد حوالى٣٠كم من غرب البحر الميت. تبعد نابلس عن شمالها بحوالى ٥٥ كم، وعن الخليل جنوبها حوالى ٣٠ كم، وهى على مقربة من بيت لحم حيث ولد المسيح عيسى.

تنتمى القدس مثل باقى شمال فلسطين إلى مناخ البحر المتوسط، والأمطار شتوية، تغزر فى الغرب، وتقل كلما اتجهنا نحو الشرق.

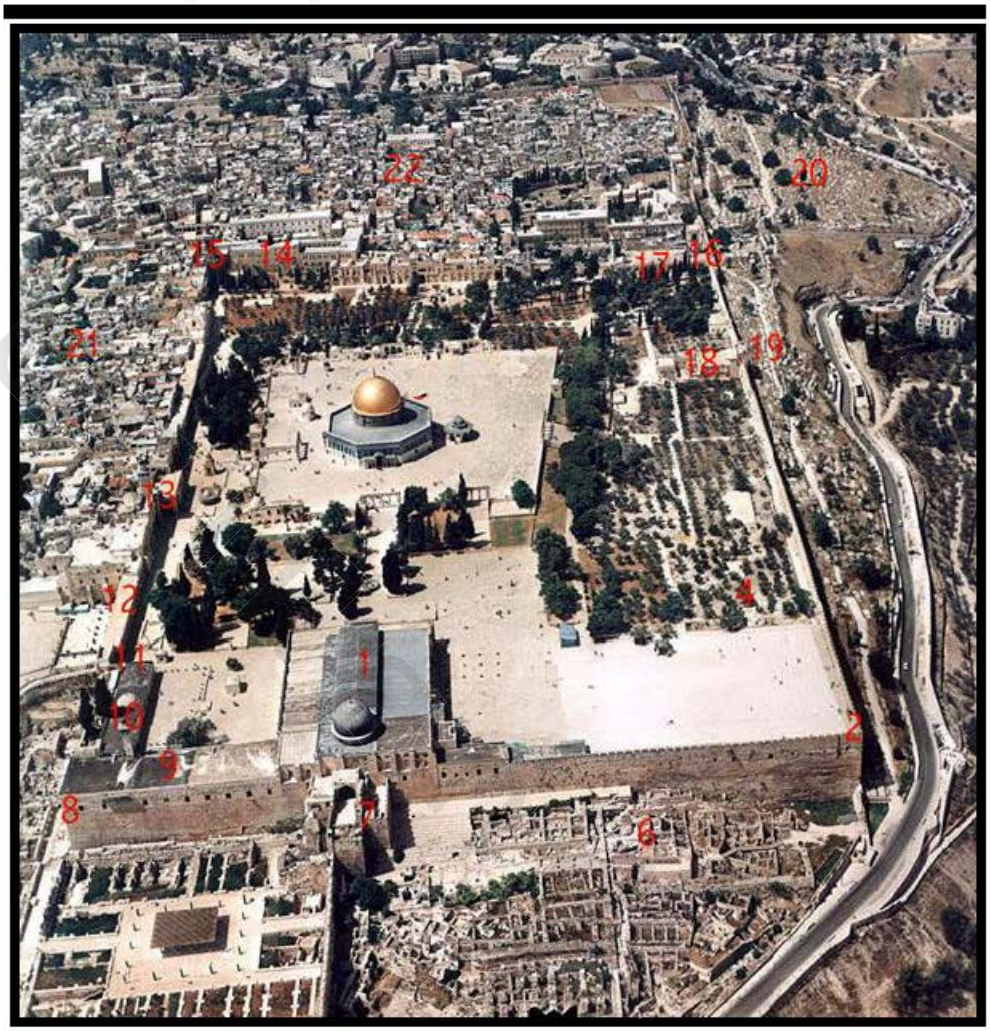

صورة لأورشليم القدس وبها الحرم الشريف

* * * * *

الناصـــرة

المكان الشرقى الذى فيه بشر الله مريم بعيسى

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: ١٦ - ٢١].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

بادئ ذى بدء، يجب أن نشير هنا إلى أن هذا المكان هو شرق مدينة الناصرة.. تلك المدينة التى صحب يوسف النجار إليها مريم بعد خطبته لها.

معروف أن هذه الخطبة كانت بمشيئة الله فى بيت المقدس بأورشليم، فبعد أن قضت مريم ما شاء الله لها أن تقضى فى محراب هيكل الرب، وبلغت مبلغ النساء فى قومها.. كان من حقها أن تكون زوجة وأمًا تكون أسرة، ترعى زوجها وأولادها، فاختار الله أحد أقربائها وهو يوسف النجار.

ولأن شريعة اليهود فى ذلك الوقت، كانت تسمح للخطيبة أن تعيش فى أسرة خطيبها مدة عام، حتى إذا حال الحول، تزوجها.

لذلك؛ اتجهت مريم مع يوسف النجار خطيبها إلى الناصرة، وعاشا فيها كخطيبين، لم يقترنا.

اعتادت بعض فتيات مدينة الناصرة أن يتجهن إلى أحد الآبار فى الفضاء الخالى شرق المدينة، ليملأن جرارهن، وشاركت مريم الفتيات رحلتهن بين الدور والبئر من حين لآخر.

ذات يوم.. ذهبت مريم كعادتها فى صحبة بعض الفتيات، وملأن

جرارهن.. لكن لأمر ما شاءه الله.. سبقت الفتيات مريم فى عودتهن، وبقيت مريم وحدها، تتطلع إلى الفراغ حولها.

فبينما كانت مريم وحيدة أبصرت أمامها فتى جميلاً يبتسم لها فى إشراق ومودة.

ملأ الخوف قلب مريم.. أصابتها الدهشة، والفتى ما يزال ينظر إليها.. خُيِّل إليها أن هذا الفتى يريد بها سوءًا، فاستعاذت بالله، ونادت ربها:

﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم: ١٨].

فى مودة وتلطف، اقترب الفتى من مريم، وقد كبرت الابتسامة على وجهه، وقال لها:

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ [مريم: ١٩].

مفاجأة لم تتوقعها مريم، وهى فى وحدتها.. كيف يكون لها غلام، وهى لم تقترن بعد بخطيبها يوسف، فقالت والدموع تترقرق فى عينيها، وقد تملكها الخوف من العار والفضيحة:

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠﴾ [مريم: ٢٠].

وما تستطيع مريم أن تدفع عنها الفتى، وهو يقترب منها، ونفخ فى جيب درعها، وقال لها:

﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾ [مريم: ٢١].

كان هذا ما حدث لمريم فى المكان الشرقى لمدينة الناصرة.

**** زمن هذه الأحداث:**

واضح من خلال هذا الموقف وأحداث التاريخ أن هذا حدث قبل ميلاد المسيح بعدة شهور، على اعتبار أن حمل مريم بدأ منذ ذلك اليوم واستمر تسعة

شهور كالعادة.

أى أن هذا كان فى الشهور الأخيرة من سنة ١ ق. م.

**** موقع الناصـرة:**

تقع مدينة الناصرة التى وقعت فيها هذه الأحداث فى فلسطين فى منطقة سهلية غرب نهر الأردن وشمال بيت المقدس على بعد بينهما حوالى ١٠٠كم، وبينها وبين أرض الخليل ١٣٥كم، أمطارها شتوية.

كانت الناصرة محطة تمر بها طرق القوافل التجارية المتجهة إلى الشام، وكانت وما تزال سوقًا تجارية هامة، فيها عاش المسيح طفولته وصباه، حتى بعثه الله نبيًا لدعوة اليهود إلى العودة إلى تعاليم الله، ونبذ ما كان يسود الشعب اليهودى بين انحلال وفوضى فى عبادة الأشخاص خاصة الحكام الرومان الذين سيطروا على الشعب الفلسطينى فى هذه المرحلة من تاريخه.

* * * * *

obeikandl.com

بيت لحم

المكان القصى الذى ولد فيه المسيح عيسى عليه السلام

﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم: ٢٢ - ٢٦].

**** قصة الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

بعد أن بشر الله مريم بعيسى.. عادت إلى دار خطيبها يوسف النجار، وأفكار كثيرة والمخاوف تتزاحم فى صدرها.

بعد حين.. بدت تباشير الحمل تظهر على مريم. لم تنكر مريم حملها.. أخبرت يوسف خطيبها بما حدث لها فى شرق الناصرة، فكر يوسف أن يسرح مريم.. يطلقها.. ينكث عن خطبتها، خوفًا من العار والفضيحة.

لكن ملاك الرب (١) أخبر يوسف ببراءة مريم، وأنها حملت بقدرة ربها، وأنها مبرأة من الخطيئة.

لذلك.. أبقى يوسف على مريم، متحملاً كل ما سيناله من قومه من عتاب وسوء معاملة واتهامات.

فى تلك الأيام، لأمر شاءه الله، صدرت تعليمات هيرودس حاكم أرض الخليل بتنفيذ الأوامر التى أصدرها الإمبراطور الرومانى أغسطس بأن يسجل كل الناس أسماءهم كل فى مكان ولادته.

---

(١) بهذا قالت الأناجيل، وإن لم يرد ذلك فى القرآن الكريم.. ولكنه أمر ممكن وقوعه من يوسف النجار.

ومع أن مريم كانت فى أخريات أيام الحمل، فقد كان عليها أن تصحب يوسف إلى عين كارم حيث يعيش قومها.

مضى يوسف ومريم فى طريقهما نحو الجنوب إلى عين كارم [1].. قطعا الطريق الطويل من الناصرة إلى الخليل، وكان عليهما أن يتجنبا قومهما، حتى لا يروا مريم، وقد بدت عليها مظاهر الحمل واضحة.

وصلت مريم ويوسف إلى مكان يعرف باسم (أفرات) [2]. وقد أصابها التعب، لثقل حملها، ومشقة طول الطريق.

طلب يوسف من مريم أن تهدأ فى مكان خال. كان هذا المكان تكثر فيه مزاود البقر حيث يسكن الرعاة، ومضى هو يبحث عن أحد الفنادق، فقد كان الزحام شديدًا فى هذا المكان بسبب كثرة القادمين لتسجيل أسمائهم.

ما كاد يوسف يبتعد حتى أحست مريم بعلامات المخاض تهزها.. أدركت فى تلك الليلة أنها ستضع جنينها!!

لم يمض غير قليل.. حتى انفصل عن مريم جنينها.. طفل أضاء المكان حوله نورًا.

لا شك أن مريم - وليس معها من يقف بجانبها - أحست بالوحدة تقلق خاطرها، وعادت إليها صورة قومها حين يرونها تحمل طفلاً، قبل أن يحين عليها الحول، لا شك أنهم سيتقوّلون على شرفها، ويتهمونها فى عفتها وسلوكها!

وما تملك مريم فى هذا الموقف إلا أن تلوذ بربها.. تناديه.

---

(١) عين كارم: قرية تقع جنوب بيت المقدس بحوالى ٨كم، وهى إحدى قرى أرض الخليل. نشأت هذه القرية حول عين ماء، وكان يعيش فيها نبى الله زكريا وزوجه أليصابات خالة مريم وعمران والد مريم وزوجه حنة، هى الأن مستوطنة يسيطر عليها اليهود.

(٢) أفرات: هذا المكان الذى مر به يعقوب ﷺ ومعه أبناؤه وزوجاته بعد عودته من أرض فدان أرام بالعراق، حيث كان يعيش عند خاله لابان، وفى هذا المكان وضعت زوجته راحيل ابنها بنيامين (شقيق يوسف) وماتت، فدفنها يعقوب فى هذا المكان.. عرف هذا المكان بعد ذلك باسم بيت لحم.

﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ [مريم: ٢٣].

ولدهشة مريم.. جاءها صوت ملاك الرب يهتف بها:

﴿أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾ [مريم: ٢٤].

ووجدت مريم على مقربة منها سريًا يجرى ماؤه عذبًا.. صافيًا، فقامت إليه وغسلت طفلها وقمطته بخرقة كانت معها، وشربت من ماء السرى ما استطاعت أن تروى ظمأها.

أحست مريم بضعف قواها، فقد أجهدها المخاض قليلا، وكانت ما تزال فى وحدتها، فراحت تجول بنظرها حولها، فإذا جذع نخلة.. جف سعفها، خالية من ثمرها، فقد كان الوقت شتاءً، انتهى موسم الرطب.

لكن مريم لدهشتها، عاودها صوت ملاك الرب يهتف بها:

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾ [مريم: ٢٥ - ٢٦].

وكبرت الدهشة على مريم حينما رأت جذع النخلة قد استحال إلى نخلة باسقة، تدلّت منها عناقيد البلح، ورغم ضعفها، هزت مريم النخلة هزات واهنة خفيفة، فتساقطت إليها حبات البلح رطبًا.. تناولتها مريم.. شهيَّة لذيذة، فمسحت عنها الجوع والوهن، فحمدت الله فضله، وشكرته على نعمته.

ثم قامت مريم إلى وليدها، فوضعته فى أحد مزاود البقر[1]، لتحميه من البرد، فى انتظار مقدم يوسف.

عاد يوسف، فأخبرته مريم بما كان من أمرها، سعيدة وهى تشير إلى النخلة التى كانت جذعًا جافًا.. أينعت وأثمرت بفضل الله، فحمد الاثنين فضل الله

(١) فى هذا المكان.. أقيمت كنيسة المهد ببيت لحم، أقيمت هذه الكنيسة فى عهد الإمبراطور الرومانى قسطنطين الذى اعترف بالديانة المسيحية ديانة رسمية لبلاده، كان ذلك سنة ٣١٣م.

عليهما ومشيئته.

ولندع مريم ويوسف، ليذهبا إلى قومهما بعد ذلك فى حوار سجله القرآن الكريم.

**** الزمن التاريخى لهذه الأحداث:**

يرتبط التاريخ الميلادى ببداية هذه الأحداث، ومهما اختلفت الآراء فى يوم ميلاد المسيح عيسى، هل هو ٢٥ ديسمبر، أو ٧ يناير، فلا شك أن هذه الأحداث وقعت أول السنة الأولى للميلاد سنة ١م، ويعتبر وهذا الحادث تاريخًا يفصل سنوات ما قبل الميلاد (ق. م)، والسنوات الميلادية فى التاريخ.

**** موقع بيت لحم:**

يقع هذا المكان الذى ولد فيه المسيح فى قرية بيت لحم التى أصبحت بعد ذلك مدينة كبيرة عامرة بالآثار المسيحية، باعتبارها مولد المسيح ﷺ. هذا الرسول الذى يدين بديانته كثير من سكان العالم.

تقع بيت لحم فى أرض الخليل فى جنوب فلسطين، فى منطقة سفوح القدس، تبعد عن الخليل نحو ١٥كم، وعن بيت المقدس بحوالى ٨كم.

تدخل هذه المنطقة ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط المعروف بحرارته صيفًا؛ واعتداله وأمطاره شتاءً.

تقع بيت لحم فى منطقة تكثر بها أشجار التين والزيتون والموالح.

صورة لمدينة بيت لحم حيث ولد المسيح عيسى عليه السلام وبها كنيسة المهد

أنطاكيا

وأصحاب القرية

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس: ١٣ - ٢١].

**** تمهيد:**

لم يحدد القرآن الكريم فى هذه الآيات أسماء الشخصيات الثلاث، ولا اسم القرية، ولا موعد حدوث هذه القصة. على أساس أن الهدف من القصة هو الموعظة، ولكن بعض الرواة ومنهم الثعلبى حددوا مكان القرية واسم الشخصيات، ونحن بدورنا سنحدد من خلال الأحداث زمن هذه القصة، لأن تحديد هذه العناصر تجعل القارئ يتفاعل مع الأحداث كما لو كان حاضرًا لها.

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

بعث عيسى عليه السلام رسولين، لعلهما كانا من حوارييه إلى تلك القرية التى نحن بصدد الحديث عنها، لدعوة أهلها إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة حاكمها [1]، كان ذلك تطهيرًا للنفس البشرية وإعلاء للإنسانية عن عبادة البشر.

فى بعض الروايات، كان الرسولان هما: فاروض ومالوس [2]، وفى رواية أخرى

(١) قال بعضهم كان اسمه أنطيوخوس، أو أنطيخيس من ملوك الروم.
(٢) الثعلبى فى كتابه عرائس المجالس ص٤٧٢.

أنهما يوحنا وبولس [1].

ذهب الرسولان إلى القرية وراحا يجوبان شوارعها، واستطاعا أن يقوما بعدة معجزات، أهمها شفاء إحدى المقعدات وإبراء المرضى، وكانا يدعوان الناس إلى عبادة الله، ونبذ عبادة الحاكم؛ لأنه بشر، ليس له قدرة، وما يملك من سلطان وجاه إلى زوال، فآمن بعض الناس بالرسولين.

لكن رجال الحاكم أخبروه بما يفعله الرجلان، فأمر بالقبض عليهما وتعذيبهما وإيداعهما السجن، جزاء ما يفعلان.

وعلم عيسى ابن مريم بما وقع لرسوليه، فبعث برسول ثالث اسمه شمعون [2].

استطاع شمعون أن يتقرب إلى حاكم المدينة الذى أخبره بأمر الرجلين الغريبين عن المدينة، وأنه سجنهما؛ لأنهما يدعيان أنهما يبرئان المرضى؛ ويحييان الموتى.

ولأن شمعون كان يعرف مقدرة زميليه على ذلك، فطلب من حاكم المدينة أن يستدعيهما؛ ليكشف حقيقتهما، وأن يدعو كثيرًا من أفراد الشعب، ليعرفوا الحقيقة.

ولأن حاكم المدينة كان واثقًا أن أمر السجينين سينكشف، وتعود مكانته إلى قلوب رعيته.

لذلك أمر بإحضار الرسولين من السجن، وجمع كثيرًا من أفراد الشعب؛ ليشهدوا كذبهما.

ودارت مناقشة ومحاورة بين الرسولين وحاكم المدينة، حاول خلالها أن يثبت كذب الرسولين وما يدعيانه من قدرة على إحياء الموتى بأمر ربهما.

---

(١) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص٢٢١، وهما من حواريى المسيح عيسى.

(٢) قال بعض الرواة: كان اسمه شمعون الذى كان يعرف باسم سمعان الصفار، وعرف باسم القديس بطرس (١٠ - ٦٧م) وهو ابن يونا وأخو الحوارى أندراوس، كان يعمل صيادًا فى بحيرة طبرية، أمره المسيح بالتبشير، وجعله رئيس الرسل.. أقام فى أنطاكيا، ثم نزح إلى روما حيث استشهد مصلوبًا.. له كنيسة باسمه فى روما على جبل الفاتيكان، أقامها الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٦٦م. (المنجد ص٧٧).

لذلك أمر رجاله أن يحضروا شابًا مات حديثًا.

قرأ الرسولان بعض الأدعية على الميت، فأحياه الله، وقام واقفًا، وأعلن للناس أن هذين الرجلين صادقان فيما يدعوان إليه، وأنهما على حق، وأن على الشعب أن يؤمن بدعوتهما.

هنالك.. انضم الرسول الثالث إلى صاحبيه، وقالوا للناس:

﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

ومع التكبر والكفر قال الملك ورجاله:

﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: ١٥].

قال الرسل الثلاثة:

﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يس: ١٦ - ١٧].

حاول بعض رجال حاكم المدينة وحاشيته أن يصرفوا الناس عن الرسل الثلاثة، فقالوا لهم:

﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [يس: ١٨].

بثقة المؤمنين، قال الرسل الثلاثة:

﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يس: ١٩].

كاد الموقف ينتهي عند هذا الحد، لكن الناس فوجئوا بدخول رجل عجوز، طالت لحيته، وانحنى ظهره، وكان يتوكأ على عصا تهتز تحت يده.. عرفه بعضهم، قال الرجل للناس:

- يا قوم.. أنا حبيب النجار[1] بعضكم يعرفني، دعوت ذات يوم حاكمكم إلى الحق،

(١) هو حبيب النجار، كان يعمل نجارًا في هذه المدينة، آمن بدعوة الله، وابتعد عن قومه، خوفًا من بطش الحاكم ورجاله.. هذا الرجل يعرف عند أهل الكتاب باسم أغابيوس.. جاء ذكره في سفر أعمال الرسل. الإصحاح الحادي عشر، قبره معروف في جبل سليوس بتركيا. (المنجد ص١٥٠).

فطردنى، فابتعدت عنه، أعبد الله الواحد، لا أشرك به عبدًا، ولو كان حاكمًا.. يا قوم.. آمنوا بهؤلاء الرسل، فهم يدعونكم إلى الحق، عبادة الله الواحد، والحب والسلام والأمن.

حدث بين أفراد الشعب صخب وضجيج بين مصدق ومكذب، فقد كان بعض الحاضرين يعرفون حبيب النجار، لذلك أسرع إلى الشيخ بعض رجال الملك، وأمسكوا به وخرقوا حلقه، وشدوه بحبال زحفًا إلى سور المدينة، وتركوه يصارع الموت، وهو ينادى:

﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧ ﴾ [يس: ٢٦ - ٢٧].

وشاء الله أن يعاقب حاكم المدينة ومن رفض الإيمان من أهلها بالرسل، فسمعوا صيحة مدوية أصمّت آذانهم، وسقطت أجسادهم، ولفظوا آخر أنفاسهم.

﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩ ﴾ [يس: ٢٩].

**** زمن هذه الأحداث:**

واضح من خلال هذه الأحداث أنها كانت فى زمن حياة المسيح عيسى بعد أن بعثه الله رسولاً إلى بنى إسرائيل، ليدعوهم إلى عبادة الله.

معروف أن بعثة عيسى حين كان عمره ثلاثين عامًا أى سنة ٣٠م.

ومعروف أن عيسى رفع إلى السماء، وكان عمره ٣٣ سنة أى سنة ٣٣م.

∴ هذه الأحداث وقعت خلال هذه الفترة، يمكن أن نقول أنها كانت سنة (٣٢م - ٣٥م). والله أعلم.

**** موقع المكان:**

أجمع الرواة على أن هذه القرية كان اسمها أنطاكية أو أنطاكيا، واختلفوا فى الدولة التى تقع فيها، هل هى تركيا الحالية أم هى سوريا؟

ومعروف أن كلتيهما كانتا تقعان فى الإمبراطورية الرومانية التى كانت تسيطر على آسيا الصغرى(تركيا حاليًا) وبلاد الأناضول وبلاد الشام(سوريا).

والذى أراه أنها أنطاكيا (بالألف، وليست بالتاء) والتى كانت تقع فى تركيا، وليست أنطاكية التى تقع فى سوريا. يؤكد ذلك ما يأتى:

١) خريطة الكتاب المقدس ص٤٢٣، البحر المتوسط فى القرن الأول بعد الميلاد.

٢) ما جاء فى موسوعة المنجد أن قبر الشيخ حبيب النجار يقع فى جبل سيليوس فى تركيا.

٣) ما جاء فى موسوعة المنجد عن القديس بطرس الذى هو سمعان أو شمعون ص٧٧ من أنه زار أنطاكيا (ولم يقل أنطاكية).

٤) فى رواية صاحب أطلس تاريخ الأنبياء والرسل أن هذه المدينة تقع فى تركيا.

فإذا أردنا أن نحدد موقع هذه القرية، فهى تكاد تتوسط تركيا، وتقع جنوب أنقرة وشرق أزمير.

* * * * *

obeikandl.com

الرَّقِيم

وقصة أصحاب الكهف

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الكهف: ٩ - ١٢].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

اعتنق بعض أهل هذه المدينة الدعوة المسيحية التى تدعو إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأوثان والحكام الرومان، آمن هؤلاء بربهم، ورفضوا عبادة حاكم مدينتهم، والسجود له.

وخوفًا من أن ينكشف أمرهم، ويقبض عليهم رجال الوالى، تركوا مدينتهم؛ ليهربوا إلى مكان آخر يكون فيه أمنهم، وهم يعبدون ربهم.

كان عددهم ستة نفر.. ساروا فى طريقهم، حتى وصلوا إلى كوخ، ولم يمض عليهم فى الكوخ غير قليل، حتى أقبل أحد الرعاة [1] إليهم ومعه كلبه.

علم الراعى بقصة الفتية، وكان هو الآخر قد آمن بالله رب المسيح عيسى، فتعاهد معهم أن يشاركهم رحلتهم وعبادة ربهم.

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف: ١٣].

بدأ الفتية ومعهم الراعى وكلبه هجرتهم بعيدًا عن المدينة، فساروا طويلاً حتى أرهقهم التعب، فوجدوا كهفًا فى جبل، عنده بئر، فتناولوا طعامًا معهم، وشربوا من ماء

(١) قال ابن فتحوية بإسناده إلى أبى حنيفة: إن أسماءهم: تمليخا، مكسلمينا، مرطليوس، بينوس، ساوتوس، دانوس.

البئر. ثم ناموا.

نام الستة نفر والراعى والكلب، وقد بسط ذراعيه.

أماتهم الله.. نزع عنهم الوعى لما يدور حولهم، كانوا أشبه بالموتى لمن ينظر إليهم، يتقلبون على ظهورهم، وإن بدت عيونهم مفتحة، وصدورهم تتنفس.. طالت شعورهم وأظافرهم.

إنها قدرة الله ومشيئته.

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٨].

بعد حين.. بعد أن لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة عام وازدادوا تسعًا.. استيقظوا من ثباتهم، ونظر بعضهم إلى بعض، فاندهشوا مما رأوا عليه أنفسهم من استطالة شعورهم، وقد علق التراب بأجسادهم.. سأل أحدهم:

- كم لبثتم؟

قال بعضهم:

- لبثنا يومًا أو بعض يوم.

قال آخرون:

- ربكم أعلم بما لبثتم.

كان الجوع قد أصابهم، فبعثوا تمليخا بما بقى معهم من نقود الأمس؛ ليشترى لهم طعامًا.

مضى تمليخا فى طريقه، فراعه شوارعها ودورها، وقد تغيرت معالمها، حتى إذا وصل إلى حانوت يبيع طعامًا، قدم إلى صاحبه بعض نقوده، وقال له:

- أعطنى بهذا خبزًا.

أمسك بائع الخبز بقطعة النقود، وقلبها بين يديه فى دهشة، وقال لـه:

- يا هذا.. من أين جئت بهذه النقود؟ لعلك عثرت على كنز.

وتجمع كثير من الناس حول تمليخا، وقد غلبت عليهم دهشتهم، إن قطعة النقود ترجع إلى أكثر من ثلاثمائة عام، فمن أين جاء بها هذا الرجل؟

كان موقفًا صعبًا على تمليخا، وهو يرى الدهشة على وجوه الناس من حولـه.

فكر تمليخا أن يقول حقيقة قصته وأصحابه، ولكنه خشى مغبة ما سيحدث لـه ولهم.

ظن بعض القوم أن تمليخا جاسوس، فساقوه إلى الحاكم، لينظر فيه رأيه.

ما كاد تمليخا يصل إلى قصر حاكم المدينة، حتى رأى صورة لم يعهدها من قبل، تغير القصر.. الحاكم غير الذى كان يعرفه، صورة جديدة على تمليخا.

وعلم تمليخا من خلال حديث الناس أن النقود التى معه مضى عليها أكثر من ثلاثمائة عام.

يا لله!! لقد نام هو وزملاؤه ثلاثمائة عام، تغير كل شىء فى المدينة.. الناس والدور والحاكم!!

وبين دهشة الحاضرين وحاكم المدينة، حكى تمليخا قصته.

عند ذلك عادت إلى أذهان الناس قصة وقعت أحداثها قديمًا، كانوا يقرؤون عنها فى كتبهم.

احتفى حاكم المدينة بتمليخا، وقدَّره، وأخبره بأنه يعيش اليوم بعد أن أصبحت دعوة المسيح ديانة رسمية لكل أهل الإمبراطورية الرومانية.

صحب الحاكم وحاشيته تمليخا للقاء زملائه الذين ما كادوا يرونهم من بعيد، حتى أدركوا أن أمرهم قد انكشف، ولكنهم اطمأنوا إلى الابتسامة التى كانت تعلو وجه تمليخا.

والتقى حاكم المدينة بأصحاب تمليخا، وصافحهم، وأثنى على موقفهم، لكنهم

سرعان ما تساقطوا ومعهم تمليخا موتى.. كأن الله شاء لهم أن يستيقظوا من سباتهم؛ ليعلم الناس قدرة الله.

هنالك أمر حاكم المدينة ببناء مسجد، ثم دفنهم فيه جميعًا، وثبّت على المسجد لوحة بأسمائهم وأنسابهم وقصتهم عرفت بالرقيم، تحكى للناس قصتهم العجيبة.

**** زمن هذه الأحداث:**

حاول بعض المؤرخين أن يربطوا بين عصر الإمبراطور الرومانى دقلديانوس[1] الذى عرف باضطهاده للمسيحية، وعصر الإمبراطور قسطنطين[2] الذى عرف عصره بعصر التسامح بعد أن اعتنق الديانة المسيحية، فزعم هؤلاء أن أصحاب الكهف كانوا يعيشون فى عصر دقلديانوس، واستيقظوا فى عصر قسطنطين، وهذا خطأ.. ذلك لأنه بين عصر دقلديانيوس وقسطنطين حوالى عشرين عامًا فقط، ومعروف أن أهل الكهف ناموا ثلاثمائة عام، وليس عشرين عامًا.

وبعض الآراء الحديثة مثل المؤرخ محمد تيسير ظبيان فى كتابه أهل الكهف، وتشيع لرأيه صاحب أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص ٢٢٣. أصحاب هذا الرأى قالوا: إن العصر الذى كان يعيش فيه الفتية كان عصر الإمبراطور الرومانى تراجان [3] (٩٨ - ١١٧ م).

وكان هذا العصر معروفًا بالعداوة الشديدة للمسيحية.

---

(١) دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) عرف بعدائه للمسيحية، قتل وعذب المسيحيين، وهدم كنائسهم، وصادر أملاكهم، من ضحاياه: الشهيد مارمينا العجائبى، والشهيدة دميانة.

(٢) قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧م) أعلن المسيحية ديانة رسمية للدولة الرومانية، وأنشأ هو وأمه هيلانة عددًاكبيرًا من الكنائس من أشهرها كنيسة القيامة.

(٣) تراجان دفعته حياته العسكرية، وتحمل الشدائد والمكاره إلى تعذيب المسيحيين، وإنكاره عبادتهم لله، فكان رجاله يسوقونهم إلى المحاكمة، والتحقيق معهم، وكان هؤلاء المسيحيون يستيقظون فى الفجر لعبادة الله، فكان رجاله يقبضون عليهم، وأصدر مرسومًا فى الإمبراطورية يحذر الناس من المسيحية: (فى عهده أعيد حفر القناة التى كانت تصل بين النيل والبحر الأحمر عند السويس فى مصر).

أما العصر الذى استيقظ فيه الفتية بعد ثلاثمائة عام، فهو عصر الإمبراطور ثيودسيوس الثانى [1] (٤٠٨ - ٤٥٠م).

ومن المحتمل على هذا الأساس أن تكون فترة نوم أهل الكهف من سنة ١٠٠ - سنة ٤٠٠م.

مع ملاحظة أن ٣٠٠ سنة ميلادية تساوى ٣٠٩ سنة هجرية.

**** موقع مكان هذه الأحداث:**

اختلف العلماء والرواة فى تحديد المدينة التى وقعت فيها قصة أصحاب الكهف والرقيم.

قال بعضهم: إنها مدينة أو قرية كانت بالقرب من عَمَّان (بالمملكة الأردنية الهاشمية).

وقال آخرون: إنهم كانوا يعيشون بالقرب من دمشق.

دون أن يحدد هؤلاء وهؤلاء اسم المدينة وموقعها.

لكن بعض الرواة ومنهم الثعلبى [2] فى روايته عن علىّ بن أبى طالب. قالوا: إنها أفسس، إحدى مدن رومية.

وقد شاء الله أن يسوقنى للبحث عن مكان أفسس، وأن أعثر على خريطتين قديمتين، إحداهما فى الكتاب المقدس ص٤٢٣ترجع إلى العصر الأول الميلادى والثانية خريطة فى موسوعة المنجد ص٢٧٢ حددت الخريطتان موقع أفسس.

ذكر المنجد ص ٢٨ فى موسوعته أن أفسس مدينة قديمة فى بلاد إيونيا، ليس فيها

---

(١) ثيودسيوس الثانى (٤١٢ - ٤٢٠م) هو ابن أركاديوس، تولى الحكم وعمره سبعة سنوات فى وصاية أخته. اهتم بنشر الدعوة المسيحية، وهو الذى عقد مجمع أفسس. (موسوعة تاريخ مصر. أحمد حسين).

(٢) كتاب عرائس المجالس للثعلبى ص٤٨٥.

اليوم إلا الأنقاض.. كان فيها معبد قديم لديانا. عقد فيها المجمع المسكونى الثالث سنة ٤٣١م [١].

كما جاء فى نفس المرجع أن إيونيا هذه هى المنطقة الساحلية فى آسيا الصغرى الغربية.

نخرج من هذا أن أفسس كما حددتها خريطة المنجد والكتاب المقدس.. تقع فى غرب تركيا الحالية، على ساحل بحر إيجه.. أى أنها تقع غرب أزمير، وغرب أنقرة.

* * * * *

(١) المنجد ص٥٥.

obeikandl.com

نَجْـــرَان

وقصة أصحاب الأخدود

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج: ٤ - ١٠].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

كما دخلت اليهودية مملكة سبأ اليمنية فى عهد ملكتهم بلقيس (عصر نبى الله سليمان) دخلت المسيحية مملكة حمير [١] اليمنية، كان ذلك فى عصر الإمبراطور الرومانى قسطنطين الثانى (٢٣٧ - ٢٣٦١) على يد الراهب ثيوفيلوس الذى شيد الكنائس والأديرة فى ظفار وعدن [٢].

لذلك دبَّ الصراع بين اليهود والنصارى الذين تكاثروا فى عهد ذى نواس[٣]. وأصبح هؤلاء المسيحيون يشكلون قوة معارضة ومناهضة لليهودية خصوصًا فى مدينة نجران.

ولأن ذا نواس كان يهوديًا متعصبًا لدينه، لذلك أصر على تأديب المسيحيين، وكسر شوكتهم، والقضاء عليهم، بعد أن جهروا بدعوتهم، وبنو لهم عدة كنائس وأديرة؛ لعبادة رب عيسى.

أمر ذو نواس رجاله بحفر خندق كبير، طويل.. عميق فى وسط نجران، ملؤوه بالحطب والأخشاب، ثم أشعلوا فيه النار، نار شديدة أوارها، يضطرم لهيبها، تعلن عن

---

(١) مملكة حمير: بدأ عصرها سنة ٦١٥م بعد سقوط دولتى معين وسبأ فى اليمن.

(٢) المنجد ص١٦٧، وموسوعة تاريخ مصر ص٣١٨.

(٣) ذو نواس: اسمه يوسف ذو نواس بن شرحبيل (الثعلبى ص٥١٥) وهو من تتابعة حمير.

حقد ذى نواس على المسيحية.

مضى رجال ذى نواس فى شوارع مدينة نجران وضواحيها، يقبضون على المسيحيين، ويسوقونهم مكبَّلين بالقيود والأغلال إلى الخندق، جعلوهم صفوفًا على شفير الخندق المشتعل، فمن ترك مسيحيته وعاد إلى اليهودية.. يرجع سالما، ومن أصر على الاستمرار فى مسيحيته، ورفض اليهودية، ألقوا به فى النار المشتعلة، غير مبالين بالنحيب والعويل والصرخات التى تشق الفضاء، تصاحبها لعنات المظلومين والثكالى على ذى نواس ورجاله الذين يتفننون فى تعذيب المسيحيين.

فى تيه واعتزاز.. جلس ذو نواس ورجاله على مقدمة الخندق، سعداء بما فعلوا بالمسيحيين.

﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾ [البروج: ٧].

حتى الأطفال على صدور أمهاتهم، لم يرحموا طفولتهم.

هذه المرأة كانت تحمل على صدرها رضيعها، ألقوا بزوجها وأولادها فى الخندق المشتعل، فاحترقوا.

على مقربة من النار: كادت المرأة تعود عن دينها؛ لتنقذ رضيعها، ولكنها سمعت رضيعها يناديها:

- ابق على دينك يا أماه، فأنت على الحق.

وسرعان ما ألقى رجال ذى القرنين بالطفل وأمه فى الأتون المشتعل، لم يرحموا دموع الأم الثكلى على أولادها وزوجها، ولا براءة الطفل الرضيع.

صورة من صور القسوة أعادت إلى أذهان الناس ما كان يفعله رجال فرعون فى بنى إسرائيل.

واضطرمت النار فى الأخدود اشتعالاً، وقودها المسيحيون الأبرياء.

أكثر من مائتى ألف مسيحى التهمتهم النار؛ لتكبر سعادة ذى نواس على وجهه.

كاد ذو نواس ورجاله يقضون على أهل نجران، ولكن النصارى هبُّوا إلى إمبراطور روما حامى المسيحية.. ناشدوه أن ينقذهم مما يصيبهم، وسرعان ما استنجد الإمبراطور الرومانى بحاكم مملكة أكسيوم الحبشية [1]كان مسيحيًا، فبعث إلى نجران بجيش كبير، ما كاد ذو نواس يراه، حتى أسرع بالفرار، لكن جميع الطرق سدت أمامه، فألقى بنفسه فى البحر لتنتهى به الحياة، وتكون نهايته بداية لعصر آمن فى نجران.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج: ١٠].

**** زمن هذه الأحداث:**

واضح من خلال هذه الأحداث أنها كانت فى زمن ذى نواس، الذى كان يحكم حمير اليمنية سنة ٥٢٣م.

وهنا يجب أن نشير إلى أن ما حدث من ذى نواس، كان فرصة لدخول الأحباش اليمن، وما تلا ذلك من أحداث سياسية متتابعة بعد ذلك.

فقد ولى الأحباش أرياط على اليمن، ثم كان النزاع بين أرياط وأبرهة الأشرم، تلك الأحداث التى انتهت بسيطرة أبرهة على اليمن، وما كان بعد ذلك من محاولة أبرهة دخول مكة لهدم الكعبة سنة ٥٧٠م، والتى انتهت بفشله فيما أراد، وكان نصر الله للكعبة.. بيت الله الحرام الذى بناه إبراهيم وإسماعيل.

والتاريخ حين يحكى عن اليمن لا ينسى موقف أحد اليمنيين فى عصر النبوة.

إنه الأسود العنسى الذى اشتهر بقدرته فى السحر.

ادعى الأسود النبوة فى أواخر عهد الرسول، ساعده على ذلك بعد المسافة بين اليمن

---

(١) لا ينسى التاريخ موقف نجاشى الحبشة، حينما لجأ إليه بعض المسلمين، مهاجرين فرارًا من بطش رجال قريش، نصحهم الرسول بذلك، وقال لهم: إن فيها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وحينما ذهب رسولا قريش يطلبان من النجاشى طرد المسلمين، رفض النجاشى طلب الرسولين وحمى المسلمين، وعندما علم النجاشى بعد ذلك بانتصار المسلمين فى بدر، سعد لانتصارهم على الكفار.

والمدينة المنورة.

تقدم الأسود إلى نجران وقتل ابن بدهان [1] الذى كان سيرث عرش اليمن وتزوج زوجته، ونشر على اليمن سلطانه، وطرد عمال الرسول فى اليمن.

بعث الرسول إلى عماله فى اليمن ليؤلبوا أهل اليمن على الأسود، ونجح رجال الرسول فيما أرادوا، واستطاعت زوجته التى اغتصبها من ابن بدهان قتله انتقامًا لزوجها.

ووصلت إلى المدينة أنباء القضاء على الأسود فى أوائل خلافة أبى بكر الصديق.

**** موقع مكان هذه الأحداث:**

كما ذكرنا، فإن نجران كانت ميدان هذه الأحداث.

كانت نجران هذه تقع فى شمال حمير اليمنية، وبعد حدوث الثورة اليمنية فى عهد السلال، ونتيجة للاتفاقيات التى عقدت بين المملكة العربية السعودية واليمن أصبحت نجران جزءًا من التراب السعودى.

تشتهر نجران بتربتها الخصبة ومناخها المعتدل لارتفاعها، وقربها من الوديان التى تمتلئ بالمياه فى فصل الصيف، فصل سقوط المطر عليها، مما أعطى لها فرصة لقيام بعض المحاصيل الزراعية والأشجار المثمرة.

* * * * *

(١) حياة محمد ص٤٩٦.

أذرعات (درعـــا)

أدنى الأرض

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾ [الروم: ١ - ٦].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

عندما ظهرت الدعوة الإسلامية، كان العالم تتصارعه قوتان: الفرس فى الشرق الذين كانوا يدينون بالمجوسية [1]، وقوة الرومان فى الشمال والغرب، وهم كتابيون يدينون بدعوة المسيح عيسى عليه السلام.

سنة ٦١٤ أو ٦١٥م أى بعد البعثة المحمدية بخمس سنوات، وقعت حرب ضروس بين القوتين العظيمتين فى العالم: الفرس والرومان، واستطاع الفرس بقيادة خسرو أبرويز أن يحققوا نصرًا مؤزرًا على الرومان فى موقعة أذرعات، واستولى الفرس على دمشق، ودخلوا بيت المقدس (إيليا) واستولوا على الصليب المقدس، وأخذوه معهم إلى عاصمتهم.

وصلت أخبار انتصار الفرس على الروم إلى قريش، فسعدوا بانتصار الوثنيين على أهل الكتاب، آملين أن يكون لهم النصر، وهم وثنيون على المسلمين، وهم أهل كتاب.

ولأن المسلمين كانوا يتعاطفون مع الرومان، فى مواجهة الفرس.. لذلك أعلنوا أن النصر سيكون بعد ذلك للرومان.

رغم وداعة أبى بكر وهدوئه وحلمه، إلا أن هذا الموقف دفعه إلى أن يتحدى أبىَّ بن

---

(١) الديانة المجوسية، كانت تقوم على عبادة الطبيعة، كالشمس والقمر كما عبدوا النار، وبذلك تعددت آلهتهم.

خلف أحد زعماء الكفر فى قريش، وراهن معه على عشر نياق، يأخذها أبو بكر إذا انتصر الرومان بعد ذلك على الفرس.

كان الله قد أنزل قولـه تعالى:

﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ ﴾ [الروم: ٢ - ٤].

وقال أبو بكر لأبىٍّ بن خلف:

- والله لينصرن الله الروم بعد ذلك، بعد ثلاثة أعوام.

وعلم الرسول بما تراهن عليه أبو بكر مع أبىٍّ بن خلف[1]، فقال لأبى بكر:

- زد فى الرهان، وأبعد فى الأجل.

وتتابعت الأيام، والجميع فى انتظار نتيجة الرهان، وهاجر الرسول وأبو بكر والمسلمون إلى المدينة المنورة.

وبعد تسع سنوات سنة ٦٢٤م انتصر الرومان على الفرس، واستعادوا أملاكهم منهم، وتبع الرومان الفرس إلى عاصمتهم المدائن، واستردوا الكنوز التى كان الفرس قد استولوا عليها ومنها الصليب المقدس [2].

**** زمن هذه الأحداث:**

من خلال متابعة الأحداث، وانتصار الفرس سنة ٦١٤ - ٦١٥م، ثم هزيمتهم سنة ٦٢٤، يمكن استنتاج زمن هذه الأحداث بعيدًا عن مقدماتها وآثارها بعد ذلك، فلم ينقذ

---

(١) أبىٌّ بن خلف: أحد أعداء الرسول والإسلام والمسلمين، وكثيرًا ما حاول الاعتداء على الرسول، وأنكر البعث والثواب والعقاب، فيه أنزل الله قولـه تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٧٧ ﴾ [يس: ٧٧].

(٢) الصليب المقدس: هو الصليب الخشبى الذى يعتقد المسيحيون أن المسيح صلب عليه، وكانت الإمبراطورة هيلانة أم قسطنطين قد عثرت عليه، ونظفته وزينته بالذهب، ووضعته فى بيت المقدس، هو الآن موجود فى كنيسة صوفيا بالقسطنطينية (المؤلف).

العالم الإسلامى من هذه الحروب بين الفرس والروم إلا بعد انتصار المسلمين عليهما، والسيطرة على أملاك الدولتين قبل أن ينتهى القرن السابع الميلادى.

**** موقـع المكـان:**

اختلف المؤرخون فى المقصود بأدنى الأرض.

قال بعضهم: إنها المنطقة القريبة من البحر الميت، منطقة الغور المنخفضة

والأصح عندى أنها منطقة درعا التى كانت تعرف باسم أذرعات. هى الآن إحدى المدن الهامة فى جنوب الجمهورية السورية، تقع شرق بحيرة طبرية بفلسطين، وقرب نهر اليرموك، وتبعد عن دمشق حوالى ١٠٠كم.

* * * * *

obeikandl.com

القَرْيَتَـان

اللتان تمنَّى الكفار أن ينزل القرآن على أحد عظيمهيما

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزخرف: ٣١].

**** تمهيـد:**

القريتان هما:

١) مكة، وعظيمها هو الوليد بن المغيرة.

٢) الطائف، وعظيمها هو عروة بن مسعود الثقفى.

رفض كفار قريش الإيمان بدعوة محمد والقرآن الذى أنزلـه الله عليه، فلم يكن محمد من سادة مكة، ووجهائها وأثريائها، مع أنه عرف بينهم بالصادق الأمين.

كان هؤلاء الكفار يتمنَّون أن ينزل القرآن الكريم على أحد الزعماء المشهورين بالثراء والسيادة فى قومهم؛ وهما الوليد بن المغيرة فى مكة، أوعروة بن مسعود الثقفى فى الطائف، ومن أجل هذا، أنكروا نزول القرآن الكريم على محمد [١].

**** الوليد بن المغيرة فى مكة [٢]:**

هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر من بنى مخزوم، كان العرب يسمونه ريحانة قريش، عرف بثرائه الواسع، فقد كان يمتلك كثيرًا من الأموال والإبل والخيل والعبيد، وكان لـه عدد كبير من الأبناء، كان منهم خالد بن الوليد الذى اشتهر بعد إسلامه بسيف الله المسلول.

من أجل ذلك كان الوليد بن المغيرة من أشد أعداء الإسلام ولرسول الله ﷺ.

---

(١) تفسير الجلالين.

(٢) سبق أن تحدثنا عن مكة (أم القرى) القرية التى كان يعيش فيها الوليد بن المغيرة، وموقعها، وأحداثها فى إحدى قصص هذا الكتاب .

وصفحات التاريخ مليئة بالكثير من المواقف التى عاشها الوليد فى مكة.

ففى سنة٦٠٥م أى قبل البعثة المحمدية بخمس سنوات على أصح الروايات، استيقظ الناس فى مكة، بعد مساء ليلة ممطرة، وذهبوا إلى الكعبة، فراعهم ما رأوا.

الكعبة، قد تحطمت بعض جدرانها، وتناثرت بعض لبناتها، ومياه الأمطار التى انحدرت إليها.. استباحت حرمة آلهتهم، حتى غدت تلك الآلهة وكأنها تَسْبَح فى بحر ليس لـه شاطئ.

اختلف القوم فيما يفعلون.. أيقومون بترميم ما تهدم من الكعبة، أم يهدمونها، ويعيدون بناءها؟.

كان الوليد بن المغيرة يتزعم الفريق الذى ينادى بهدم الكعبة، وإعادة بنائها.

كان الخوف يسيطر على القوم من أن يفعلوا، حتى لا تغضب عليهم الآلهة.. ولكن جرأة الوليد وإصراره على موقفه ورأيه، دفعه إلى أن يأخذ فأسًا، وصعد أحد جدران الكعبة، وهدم بعضًا منه بين مخاوف الناس.

فلما كان صباح الغد، لم يصب الوليد بسوء، مما شجع القوم على هدم الكعبة، فقسموا العمل بينهم وهدموها، وخرج الوليد فى جماعة من قريش إلى ميناء الشعيبة حيث كانت سفينة تحمل الأخشاب، اشتروها وعادوا بالخشب إلى مكة.

وأعاد القوم بناء الكعبة، ومما يروى أن الرسول ﷺ شارك فى هذا البناء.

والتاريخ يحكى لمحمد موقفه فى هذه المناسبة، حين احتكم الناس إليه فيمن يضع الحجر الأسود فى مكانه، بعد أن أتموا بناء الكعبة، فكان حكمه حكمًا حكيمًا عادلاً، منع عن القوم الشجار والخلاف والصراع بينهم.

هذا الموقف من الوليد بن المغيرة، جعله زعيمًا هامًا بين رجال قريش، ورأيه مطاع، ولأنه كان سيدًا فى قومه، فقد كان رجال قريش يأملون أن ينزل عليه القرآن الكريم، ليقوم بدعوة الإسلام بدلاً من محمد اليتيم الفقير، وما كان هؤلاء يدرون أنها

مشيئة الله، لحكمة لا يعلمها إلا هو.

من أجل ذلك.. كان الوليد بن المغيرة من أشد أعداء الإسلام، حاول ورجاله أن يثنوا الرسول عن دعوته التى كلفه الله بها، تارة بالإيذاء والتعرض له، وتارة بالمهانة ومحاولة رشوته بالمال والجاه والسلطان والنساء.

وحاول كفار مكة يتزعمهم الوليد أن يصرفوا الناس عن محمد.. ادعوا أنه كاهن، شاعر مجنون، ولكن الرسول بقى صامدًا فى مواجهة المغيرة وأمثاله.

وفى الوليد بن المغيرة أنزل الله قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ١٨ - ٢٥].

مات الوليد بن المغيرة قبل هجرة الرسول إلى المدينة المنورة.

**** عروة بن مسعود الثقفى [1] فى الطائف:**

هو العظيم الثانى الذى تمنى له رجال قريش أن ينزل القرآن عليه..

إنه أحد رجال الطائف، عرف بسداد رأيه، وحكمته، ورجاحة عقله.

تذكر صفحات التاريخ عدة مواقف لعروة ولأهل الطائف.

١) سنة ٦٢٠م السنة العاشرة من البعثة المحمدية.

بعد أن توفيت السيدة خديجة زوج الرسول، وعمه أبو طالب، اشتد إيذاء رجال قريش للرسول، ونالوا منه بعد أن فقد نصيريه.

لذلك خرج رسول الله إلى الطائف، يلتمس عند ثقيف النصرة والمنعة، ويدعوهم إلى الإسلام، ولكنهم لم يستمعوا إليه، وأغروا به سفاءهم، يسبونه، يصيحون به، فاتجه

(١) هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن ثقيف، وهو عم والد المغيرة من شعبة (الإصابة: ج٢ ص٦٣٧).

الرسول إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة، وراح يدعو ربه ويناديه، فتحركت نفسا ابنى ربيعة، وبعثوا إليه مع غلامهما عداس النصرانى بقطف من العنب.

وهكذا رجع الرسول من الطائف بشّر منهم.

ترى... هل علم عروة بن مسعود الثقفى بزيارة الرسول للطائف؟

٢) فى صفحة من صفحات التاريخ، يذكرها عن عروة بن مسعود.

حينما جاء الرسول والمسلمون سنة ٦هـ للعمرة والطواف حول الكعبة، رفض رجال قريش أن يسمحوا لهم بدخول مكة، وتأزم الموقف، وتعدّدت الرسل والمفاوضات بين المسلمين وقريش.

كان رجال قريش يعلمون عن عروة بن مسعود الثقفى حكمته، وقوة حجته، وبراعته كزعيم فى قومه على الحوار، وثباته فى المناقشة والمراوغة.

عرض رجال قريش على عروة بن مسعود أن يكون سفيرًا لهم عند رسول الله، يحاول إقناع المسلمين بالانصراف، وعدم دخول مكة بسلام، دون حرب.

اعتذر عروة فى أول الأمر، فقد كان يدرك صعوبة الموقف، ويعلم عن محمد مكانته وحجته، لكنه فى النهاية وافق قريشاً على ما أرادوا.

ذهب عروة إلى رسول الله، وأمسك بلحيته، وقال له:

- يا محمد.. إن مكة بيضته، وإنه إن يفضها على أهلها المقيمين بها بما جمع من أوشاب الناس، ثم انصرف الأوشاب عنه، كان العار الخالد لقريش عارًا لا يرضاه محمد، وقد تتصل الحرب بينك وبين قريش.

عند ذلك ثار أبو بكر، منكرًا على عروة انصراف الناس عن محمد، واحتد المغيرة بن شعبة وكاد يفتك بعروة.

استطاع رسول الله أن يقنع عروة بأنهم جاءوا للعمرة والطواف، ولا يريدون قتالاً.

بحكمة عروة، أدرك الحقيقة، وعاد إلى قريش، وقال لهم:

- يا معشر قريش.. إنى جئت كسرى فى ملكه، وقيصر فى ملكه، والنجاشى فى ملكه، وإنى والله ما رأيت ملِكًا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه.

وانتهى الموقف بعقد صلح الحديبية.

٣) من الصفحات التى يذكرها التاريخ للطائف ما حدث سنة ٨هـ عند فتح مكة.. كان حصار حنين ثم اتجه المسلمون إلى الطائف لحصار بنى ثقيف الذين كان لهم دور فى حصار المسلمين فى حنين.

أمر الرسول أصحابه أن يحاصروا الطائف، لا يخرج منها، ولا يدخل إليها أحد من أهلها. أراد الرسول بذلك أن يستسلم رجال ثقيف، ويعلنوا إسلامهم.

لكن رجال ثقيف صمدوا للحصار ورموا المسلمين بالنبال، فقتلوا منهم ١٨ رجلاً وجرح كثيرون، فابتعد المسلمون إلى خارج مدينة الطائف.

وأقام المسلمون عدة أيام دون أن تستسلم ثقيف، ورأى الرسول والمسلمون أن من الحكمة الانصراف، فابتعدوا عن الطائف.

تدل الأحداث التاريخية على أن عروة لم يكن حاضرًا هذا الحصار، ولو كان حاضرًا لأقنع أهله بالإسلام.

لم يكن عروة بن مسعود الثقفى حاضرًا خلال حصار المسلمين فى حنين، ثم لثقيف فى الطائف.. كان وقتها فى اليمن.

فلما عاد عروة، أدرك قوة وحكمة رسول الله حين انصرف عن ثقيف بعد حصارهم، دون قتال.

٤) علم عروة بالجيش الذى جهزه رسول الله لغزوة تبوك، مما يدل على قوة محمد وحكمته، فاقتنع بالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً.

لذلك.. اتجه عروة بن مسعود فى جماعة من قومه إلى المدينة المنورة.. كان ذلك فى عام الوفود؛ ليعلن للرسول إسلامه.

أعلن عروة أنه سيكون داعيًا لقومه للدخول فى الإسلام. حذره الرسول من أن يفعل لما يعلمه من تعصب ثقيف لصنمها اللات، ولكن عروة كان الإيمان قد تملك من قلبه، فأصر على دعوة قومه إلى الإسلام.

وتحققت فراسة الرسول، فما كاد عروة يعلن لقومه إسلامه، حتى أحاطوا به ورموه بالنبال، حتى مات، وهو يهتف:

- كرامة أكرمنى الله بها، وشهادة ساقها الله إلىّ، فليس لى إلا ما للشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله مع رسول الله.

ولما علم الرسول بما حدث لعروة، قال: (مثل عروة مثل صاحب ياسين، دعا قومه إلى الله، فقتلوه) [1].

**** موقع مدينة الطائف:**

هى إحدى مدن المملكة العربية السعودية، تقع جنوب مكة المكرمة بحوالى ٧٨كم.

وهى مدينة قديمة معروفة منذ العصر الجاهلى. كانت تعرف باسم (وج) لقربها من وادى وج، حيث تكثر فيها الوديان.

سميت بالطائف لأن حولها سور يطيف (يحيط) بها.

ترتفع عن سطح البحر ١٨٠٠م، ولذلك مناخها أكثر اعتدالاً من بقية أجزاء المملكة العربية السعودية، ومن أجل ذلك كانت مصيفًا هامًا، يقصده كبار رجال الدولة، كان يسكنها العماليق، ثم وفد إليها قبائل هذيل وبنو سعد وبنو ثقيف.

يقترب موقعها من سوق عكاظ الذى كان معروفًا فى الجاهلية.

تربتها خصبة، تسقط عليها بعض الأمطار، ولذلك قامت فيها مزارع العنب والرمان والتين وبعض الحاصلات الزراعية الأخرى.

* * * * *

(١) الإصابة ج٢ ص٦٣٨.

المسجد الحرام

بين الأمس واليوم

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١].

﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ ﴾ [البقرة: ١٩١].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ۚ ﴾ [الحج: ٢٥].

﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفتح: ٢٧].

**** تمهيـــد:**

يقصد بالمسجد الحرام [١]: الكعبة وما حولها من المطاف والمساحات المجهزة للصلاة، والتوسعات التى دخلت فيها.

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان، والأزمنة التى وقعت خلالها:**

حين أقام إبراهيم وإسماعيل قواعد الكعبة منذ ما يقرب من أربعة آلاف عام لم يجعل حولها سورًا، يفصلها عن الدور والخيام التى كانت تحيط بها.

وحينما أحضر عمرو بن لحى الخزاعى صنمًا من بلقاء الشام، كان الناس هناك يعبدونه.. وضعه فى الكعبة، وتبعه الكثير من أهل مكة بأصنامهم، فلما ضاقت الكعبة

(١) من فضائل المسجد الحرام، أن الصلاة فيه تعادل مائة ألف صلاة فيما سواه، وأنه حرم آمن لمن يدخله.

بالأصنام، أقاموها حولها فى المسجد الحرام، لذلك حينما جاء أبرهة ملك الحبشة ليهدم الكعبة سنة ٥٧٠ م، كان فى مواجهة الكعبة مباشرة، لا يمنعه سور أو حائط.

أحداث كثيرة عاصرها المسجد الحرام: الصراع بين كفار مكة والمسلمين الذين آمنوا بدعوة محمد، والتى كان من أهم صورها، فترة المقاطعة التى استمرت ثلاث سنوات بين سنتى ٦، ٩ من البعثة المحمدية، حين قاطعت قريش آل بيت أبى طالب، وكتابة صحيفة بذلك علقوها على باب الكعبة.

ثم شاء الله أن يُسَرِّى عن رسوله محمد بعض أحزانه، لوفاة زوجه السيدة خديجة وعمه أبى طالب اللذين كانا له درعًا وحماية من كفار مكة، ثم ما لاقاه الرسول من مشاق فى رحلته إلى الطائف.

لذلك أَسْرى به الله من المسجد الحرام [١] هذا الذى نتحدث عنه إلى المسجد الأقصى بفلسطين، كان ذلك ليلة ٢٧رجب من العام العاشر للبعثة المحمدية [٢].

وحين أشرق صباح اليوم التالى.. ونادى رسول الله فى قومه بأن الله أسرى به ليلة البارحة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فصدقه كثير، وأعرض عنه آخرون.

واستدل الرسول على صحة مسراه بتلك القافلة التى مرَّ عليها فى الطريق، وكان أبو بكر أول المُصَدقين بإسراء رسول الله، ومنذ هذا اليوم عُرِفَ بالصديق.

وتتابعت الأحداث على مكة والكعبة والمسجد الحرام.. حتى اضطر الرسول والمسلمون إلى الهجرة من مكة إلى يثرب(المدينة المنورة). واستقر الرسول والمسلمون فى المدينة، وبذر فيها بذور الدعوة الإسلامية التى أتت بظلالها.

لم ينس الرسول والمسلمون ، وهم فى مهجرهم وطنهم الحبيب مكة ولا الكعبة ولا المسجد الحرام.

---

(١) كانت فترة المقاطعة من سنة ٦١٦م إلى ٦١٩م.

(٢) كان الإسراء والمعراج سنة ٦٢١م. (حياة محمد، وطبقات ابن سعد).

من أجل ذلك.. شاء الله أن يطمئن قلب رسوله، حين أوحى إليه أن يتوجه فى صلاته نحو المسجد الحرام بدلاً من المسجد الأقصى [1].

كان ذلك فى نصف شعبان من السنة الثانية من الهجرة على أصح الروايات.

وتمضى الأحداث فى المسجد الحرام كما شاءه الله، وتمناها رسوله.

كان قد مضى على المسلمين وهم فى مهجرهم ست سنوات، طال فيها الحنين إلى وطنهم مكة، والبيت العتيق والمسجد الحرام، فتهيئوا للخروج للعمرة والحج.

بضعة آلاف من المسلمين كان الأمل يحدوهم أن يدخلوا المسجد الحرام، تحقيقًا لرؤيا رسول الله كما جاء فى قوله تعالى:

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧].

كم سعد المسلمون وهم فى طريقهم إلى مكة، حتى إذا وصلوا هناك، فوجئوا برجال قريش يمنعونهم مما أرادوا!!

لقد كان موقفًا غريبًا لقريش، فزيارة المسجد الحرام حق للناس جميعًا منذ أذّن إبراهيم عليه السلام للحج، وأهل مكة أحق بالطواف حول الكعبة، والصلاة فى المسجد الحرام.

وانتهى الأمر بعد مفاوضات بصلح عُرِفَ بصلح الحديبية فى ذى القعدة سنة ٦هـ الذى يسمح للمسلمين بالعودة إلى مكة والكعبة فى العام التالى.

فلما كان العام التالى سنة ٧هـ جاء الرسول والمسلمون إلى مكة، ودخلوا المسجد الحرام[2]، وطافوا حول الكعبة، فيا لسعادتهم فى ذلك اليوم الذى أعاد إليهم ذكريات محببة إلى قلوبهم.

---

(١) كان تحويل القبلة سنة ٦٢٤م. راجع تاريخ الطبرى ج٢ ص١٨.

(٢) عرفت هذه الزيارة بعمرة القضاء وكانت سنة ٦٢٩م.

ومضت أحوال المسلمين فى المدينة من خير إلى خير، ومن نصر إلى نصر، حتى استطاعوا فتح مكة [١] ودخلوا المسجد الحرام، وطهروا الكعبة مما كان فيها من أصنام، كان ذلك فى ٢٠ رمضان سنة ٨هـ، وهذا العام عرف بعام الفتح، وكان يومًا من أهم الأيام التى سجلها التاريخ فى صفحات الإسلام.

كان فتح مكة وتطهير الكعبة والمسجد الحرام من الأصنام مرحلة هامة فى تاريخ الدعوة الإسلامية .

فلما كان العام التاسع للهجرة، وكان الرسول مشغولاً بلقاء وفود القبائل من أنحاء شبه الجزيرة العربية الذين جاءوا إلى الرسول يعلنون إسلامهم، بعث الرسول أبا بكر، ليقود الناس فى الحج هذا العام [٢]، وفى هذه المناسبة أنزل الله على رسوله عدة آيات قرآنية تحدد علاقة المشركين بالمسجد الحرام [٣].

كان منها أن الله ورسوله برىء من المشركين، وأن الرسول ملتزم بما تعاهد عليه مع المشركين طالما أنهم لم ينقضوا عهدهم.

منذ بنى إبراهيم وإسماعيل الكعبة حتى وفاة الرسول ومن بعده أبو بكر، لم يكن للمسجد الحرام حائط يفصله عن الدور والخيام المحيطة به، وكان الحجاج يدخلون إليه من خلال الشوارع الموجودة بين الدور والخيام.

فلما تولى عمر بن الخطاب ولاية المسلمين سنة ١٧هـ (٦٣٩م)، وكانت الدولة الإسلامية قد اتسعت، ووصل الإسلام توسعة فى الشام وفارس، وزاد عدد الحجاج إلى الكعبة.

لذلك قام عمر بن الخطاب ببناء حائط يفصل بين المسجد الحرام حول الكعبة والدور والخيام المحيطة به، فكان هذا أول تحديد للمسجد الحرام.

---

(١) كان فتح مكة سنة ٦٣٠م.

(٢) كان ذلك سنة ٦٣١م.

(٣) راجع أهم ما جاء من قواعد فى الآيات القرآنية من سورة التوبة ١ - ١٥.

ومن الطبيعى أن عمر بن الخطاب اشترى كثيرًا من الدور، وأضاف مساحتها إلى مساحة المسجد الحرام لتوسعة مساحته، حتى يتسع لأكبر عدد من الزوار والحجاج.

كما قام عثمان بن عفان سنة ٢٦هـ (٦٤٨م) بإضافة مساحة جديدة إلى المسجد الحرام لتتسع مساحته.

ثم قام عبد الله بن الزبير بعد إعادة بناء الكعبة سنة ٦٥هـ (٦٨٥م) بإضافة مساحات أخرى إلى المسجد الحرام لتوسعته.

وتتابعت مرات توسعات المسجد الحرام فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك سنة ٩١هـ (٧٠٩م).

وفى عهد الخلفاء العباسيين: المنصور والمهدى والمعتصم والمنذر ١٣٧هـ - ٣٠٦هـ.

واهتم المماليك فى مصر بتوسعة المسجد الحرام، وكذلك فعل العثمانيون كما حدث فى عهد السلطان سليمان القانونى سنة ٩٨٠هـ وابنه السلطان مراد سنة ٩٨٤هـ

وضاعف السعوديون اهتمامهم بالمسجد الحرام.

ففى عهد الملك عبد العزيز، تم توسعة المسجد الحرام ، ورصف المسعى وتجديد سقفه كان ذلك سنة ١٣٦٨هـ - سنة ١٣٧٣هـ.

ثم التوسعات التى تمت فى عهد الملك سعود بن عبد العزيز سنة ١٣٧٥هـ.

ثم كانت التوسعات الكبيرة التى قام بها السعوديون فى العصر الحديث، وكان أهم التوسعات التى تمت فى المسجد الحرام، التوسعات التى قام بها الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود خادم الحرمين الشريفين، الذى أمر بتوسيع المسجد والسطح وزيادة الإضاءة، وتبليطه بالرخام، وزيادة عدد أبواب المسجد ومآذنه حتى أصبح يتسع لأكثر من مليون مصل.

وما زال السعوديون يهتمون بمزيد من التوسعات للمسجد الحرام لمواجهة زيادة

عدد الحجيج.

وهكذا.. وصل المسجد الحرام إلى صورة من صور فن الهندسة والعمارة بفضل الله والقائمين على رعايته. جزاهم الله خير الجزاء.

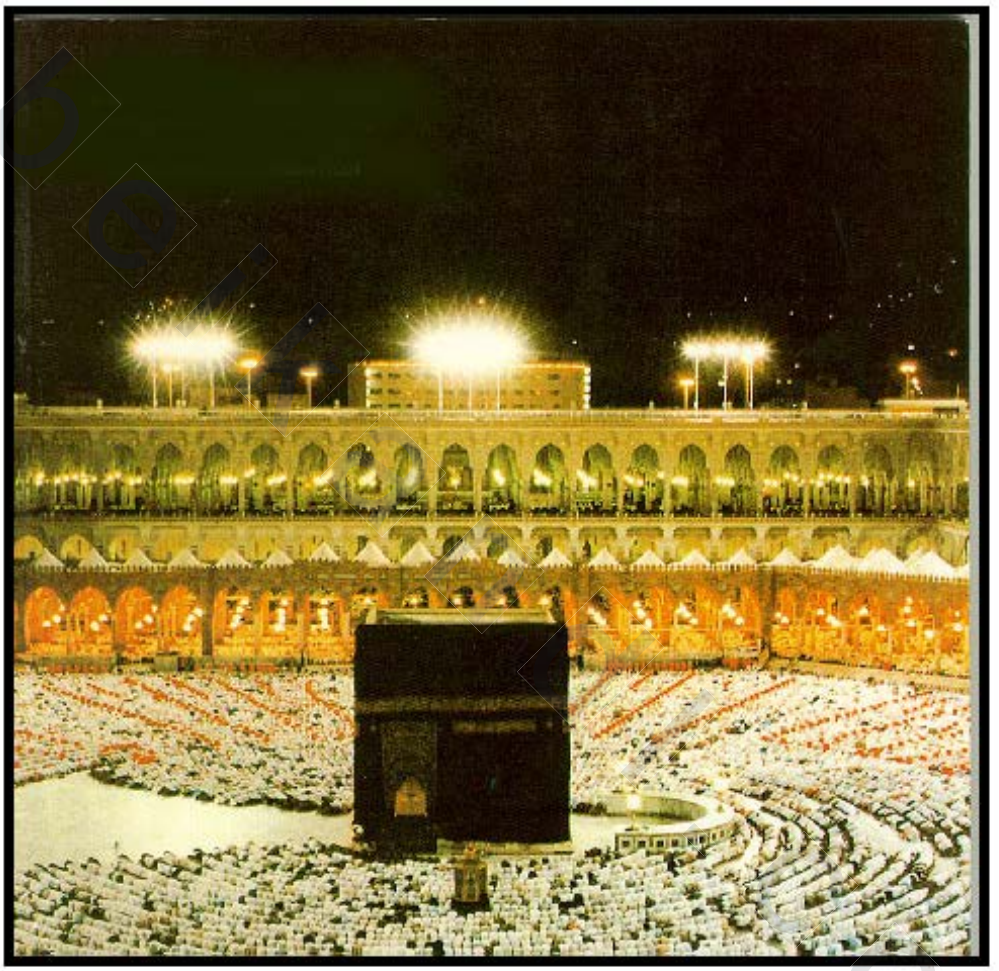

صورة للمسجد الحرام

المسجد الأقصى

الذى بارك الله حوله

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١].

**** تمهيد:**

يقصد بالمسجد الأقصى بالقدس فى فلسطين ما هو داخل السور الكبير الذى له عدة أبواب، والذى يقع بداخله المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة وما حولهما من المساحات تقدر بحوالى ١٢٥٥٠٠ م٢.

فى حديث لرسول الله ﷺ أنه قال: ((لا تُشَد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى، والمسجد الأقصى)) (١).

مع ملاحظة أن المسجد الأقصى سمى بهذا الاسم، لأنه يقع فى أقصى مكان كانت تصل إليه قوافل تجارة قريش بالشام.

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان وأزمانها:**

يقع المسجد الحرام هذا الذى نحن بصدد الحديث عنه فى مدينة القدس(بيت المقدس) هذه المدينة التى يرجع تاريخها إلى ما يقرب من خمسة آلاف عام، بناها اليبوسيون وهم فرع من العرب، وجعلوها عاصمة لهم ، سموها (يبوس) (٢).

التقى إبراهيم مع ملك يبوس فى هذا الوقت.. واسمه ملكي صادق (٣)، وكان رجلاً مباركًا يعرف الله، فبارك إبراهيم، ووافق على أن يعيش هو وأهله فى هذه المنطقة بعد

---

(١) رواه النسائى.

(٢) يبوس: أنشئت فى عهد اليبوسيين، فلما كان عصر أحد ملوكها واسمه سالم سميت باسم أور سالم، ثم حرفت بعد ذلك فى عهد سليمان ﷺ إلى أورشليم. فى عهد الرومان سموها إيليا كبتولينا، ثم إيليا.. وفى عهد الإسلام سميت باسم القدس أو بيت المقدس.

(٣) كان حكم ملكي صادق سنة ٢٠٠٠ق. م. راجع الإصحاح ١٤ تكوين فقرات ١٧ - ٢١.

هروبهم من أرض الكلدانيين.

ومضت الأيام بإبراهيم ﷺ حينًا من الدهر، خلالها ذهب إلى مصر، لنشر دعوة التوحيد، وأهداه ملكها جارية اسمها هاجر، تزوجها إبراهيم، وأنجب منها إسماعيل، ثم كانت مشيئة الله أن تعيش هاجر وابنها إسماعيل فى مكة، وهناك بنى إبراهيم ﷺ الكعبة المشرفة.

ثم أنجب إبراهيم ابنه إسحاق من زوجه سارة، لتمضى الحياة بهم كما شاءها الله.

ولأن إبراهيم بنى بيتًا لله فى مكة هو الكعبة، لذلك كان عليه أن يبنى مسجدًا فى يبوس، هو ما عرف بعد ذلك باسم المسجد الأقصى.

ومعروف أن هذا المسجد بنى بعد بناء الكعبة بأربعين عامًا، يؤكد هذه الحقيقة حديث رسول الله ﷺ الذى جاء فى الصحيحين: أن أبا ذر الغفارى سأل رسول الله: يا رسول الله: أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال الرسول ﷺ: ((المسجد الحرام ،ثم المسجد الأقصى "سأل أبو ذر وكم بينهما؟ فقال الرسول: ((أربعون سنة)).

وقد أثبتنا من قبل أن بناء المسجد الحرام الذى أقام قواعده إبراهيم ﷺ كان سنة ١٨٩٠ق. م.

∴ كان بناء المسجد الأقصى حوالى ١٨٥٠ق. م [١].

وقد حاول اليهود فى كتابهم العهد القديم فى الإصحاح رقم ٢٨ من سفر التكوين أن يثبتوا أن المسجد الأقصى بنى فى عهد يعقوب.

وملخص ما جاء فى هذا السفر أن نزاعًا وقع بين يعقوب وأخيه عيسو (العيص) اضطر يعقوب إلى ترك أرض الكنعانيين ، والهجرة إلى أرض حاران عند خاله لابان.

فلما كان فى الطريق: أمْسَى الليل، فنام يعقوب فى مكان ما، فرأى سلما ، رأسها فى السماء، وملائكة يصعدون وينزلون عليها، فأدرك أن هنا يكون الرب، فنذر لئن عاد إلى

(١) معروف أن إبراهيم ﷺ كانت فترة حياته من سنة ١٩٩٧ق. م إلى سنة ١٨٢٢ق. م أى أن المسجد الحرام والمسجد الأقصى تم بناؤهما فى حياته.(أطلس تاريخ الأنبياء والرسل).

هذا المكان أن يبنى بيتًا للرب، وعلَّمَ المكان بحجر عليه دهن، فلما عاد يعقوب من رحلته، بنى هذا البيت.

سكت الرواة، وكذلك العهد القديم عن الحديث عن هذا البيت، لكن الذى لا شك فيه أن هذه المنطقة كانت معمورة بالسكان.

فلما كان عصر نبى الله داود ﷺ، فكر فى بناء بيت للرب يكون مركزًا للعبادة، ولكن الله طلب منه ألا يفعل ، وأن يترك هذا لابنه سليمان [1].

بنى سليمان هيكلاً للرب، لا شك أنه بناه فى أرض كنعان(فلسطين) فى مكان غير مكان المسجد الذى بناه إبراهيم، فما كان سليمان ليهدم بيتًا بناه جده.

كان هيكل سليمان كما وصفه الإصحاح السادس من سفر الملوك الأول طوله ستون ذراعًا، وعرضه عشرون ذراعًا.

معروف أنه لما مات سليمان ﷺ، انقسمت دولته إلى قسمين: دولة الشمال (إسرائيل) وعاصمتها شكيم (نابلس)، ودولة فى الجنوب (يهوذا) وعاصمتها أورشليم (القدس).

أى أن حكم داود وسليمان لهذه المنطقة استمر من سنة ١٠١٠ق. م بداية حكم داود إلى سنة ٩٣١ ق. م نهاية حكم سليمان، وهى مدة محدودة بالنسبة لفترة حكم العرب اليبوسيين ومن بعدهم العرب المسلمون كما سياتى بعد ذلك.

وتعرضت دولة يهوذا فى الجنوب لهجمات نبوخذ نصر البابلى سنة ٥٨٦ق. م، ودمَّر أورشليم وأحرق هيكل سليمان، بذلك ضاعت معالم هيكل سليمان ومكانه.

صحيح أن الفرس حينما استولوا على فلسطين بعد انتصارهم على البابليين أطلقوا سراح اليهود، وبنوا لهم هيكلاً.

لكننا لا ندرى، هل كان هذا الهيكل مكان هيكل سليمان أم فى مكان آخر؟

---

(١) عاش سليمان ﷺ سنة ٥٨٥ق. م - ٩٣٠ ق. م.(أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص٥٤).

فلما استولى الرومان على فلسطين سنة ٦٣ق. م، بنى هيرودس أحد ولاة فلسطين من قبل الرومان هيكلاً سنة ٢٠ق. م، ولكنه لم يكن للعبادة، ولكنه استخدم لأغراض أخرى كالرياضة والاحتفالات، وهو الهيكل الذى تنبأ المسيح لتدميره.

ولا ننسى أن الرومان حينما اعتنقوا الدعوة المسيحية، هدموا كثيرًا من الأماكن، وبنوا بدلاً منها كثيرًا من الكنائس.

نريد أن نخرج من كل هذا بحقيقة هامة، هى أن هيكل سليمان الذى يبحث اليهود عنه قد ضاعت معالمه، خلال هذه الأحداث الطويلة، وأن المسجد الأقصى ليس فى مكان هيكل سليمان كما يدعى اليهود.

أما نحن المسلمين، كيف عرفنا مكان المسجد الأقصى الذى بناه إبراهيمﷺ بعد الكعبة بأربعين عامًا، فذلك بالصخرة التى ربط فيها رسول الله البراق ليلة مسراه، حين كانت رحلة معراجه إلى السموات العلا.

من هنا بدأت علاقة المسلمين بالمسجد الأقصى، وبالصخرة المباركة.

وإذا كان الله قد أمر رسوله بأن يتوجه فى صلاته نحو المسجد الحرام بدلاً من المسجد الأقصى، فقد كان ذلك لمشيئة شاءها الله أن يطمئن قلوب المسلمين للهفتهم إلى موطنهم مكة، وأنهم سيفتحون مكة ويدخلون الكعبة.

كما فتح المسلمون بلادًا كثيرة، فتحوا فلسطين سنة ١٥هـ (٦٣٦م) لتبدأ مرحلة جديدة فى العلاقة مع المسجد الأقصى.

كان ذلك فى عهد عمر بن الخطاب الذى سافر إلى القدس، وسلَّم قساوسة الكنيسة مفتاح المدينة له، وصلى عمر فى أحد أماكن فلسطين.

ثم قام عمر إلى الصخرة المباركة التى ربط الرسول فيها البراق، ومسح ما كان عليها من تراب، يشاركه كثير من المسلمين؛ ليكون هذا بداية عهد جديد للمسلمين والصخرة المقدسة، وأمر عمر ببناء مسجد عليها، ما تزال بقية هذا المسجد موجودة

قرب المحراب.

بنى عبد الملك بن مروان المسجد الأقصى سنة ٧٤هـ (٦٩٢م)، واهتم الأمويون بتغطية أرض المسجد بالرخام.

كما اهتم الخلفاء العباسيون بالمسجد الأقصى فى عهد جعفر المنصور.

كذلك اهتم الفاطميون بالمسجد الأقصى كما حدث فى عهد الخليفة الظاهر سنة ٤٢٦هـ.

وإذا كان الصليبيون قد حاولوا ذات يوم السيطرة على بيت المقدس والمسجد الأقصى، فقد وقف فى مواجهتهم البطل صلاح الدين الأيوبى حاكم مصر فى ذلك الوقت.. هزمهم وطردهم.. كان ذلك سنة ٥٨٣هـ (١١٧٨م).

واهتم صلاح الدين الأيوبى بالمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، وتبعه المماليك، ثم العثمانيون، كل يحاول أن يساهم فى تجديد أو تجميل وصيانة المسجد الأقصى.

وإذا كان الصهاينة فى الوقت الحاضر، قد استولوا على معظم فلسطين، فسيقيض الله للمسلمين من ينقذ المسجد الأقصى من شرورهم، ومحاولة هدمهم للمسجدين (المسجد الأقصى - ومسجد قبة الصخرة).

**** موقع المسجدين الأقصى وقبة الصخرة:**

يقع المسجد الأقصى فى مدينة القدس جنوب مسجد قبة الصخرة على بعد حوالى ٥٠٠ مترًا منه، وهذه صورة توضح معالم كل منهما.

**** المسجد الأقصى:**

* طوله من الداخل ٨٠ مترًا، وعرضه ٥٥ مترًا، فتكون مساحته ٤٤٠٠ مترًا مربعًا. انظر الصورة

* له ١١ بابًا: واحد منها فى الشرق، وآخر فى الجنوب، واثنان فى الغرب من أشهر هذه الأبواب: باب الفتح، باب التوبة والرحمة، باب الغاربة ويعرف باسم (باب البراق وباب النبى) باب السلسلة.

* يقوم المسجد على ٥٣ عمودًا، ٤٩ سارية.

* بالمسجد (٧) أروقة: ثلاثة منها فى الشرق، وثلاثة فى الغرب، وواحد فى الوسط.

* بالمسجد محرابان: أحدهما يسمى محراب عمر، والآخر يسمى محراب معاوية.

* فى المسجد الأقصى ١٣٧ نافذة، منها (٧) نوافذ فى القبة، والباقى موزعة على الأروقة والجدران. انظر الخريطة شكل (٩)

**** مسجد قبة الصخرة:**

يقع شمال المسجد الأقصى، ويشتهر بقبته المذهبة المعروفة.

بدئ فى بنائه عام ٦٨هـ على يد الخليفة الأموى الخامس عبد الملك بن مروان [١]. انظر الصورة

وتم بناؤه عام ٧٢هـ.

* يعتبر تحفة هندسية عظيمة، أكثر عظمة من كنائس الشام.

* قبته مثمنة الأضلاع، كل ضلع منها طوله ٢٠ مترًا، وارتفاعه ١٢ مترًا، من الأضلاع الثمانية: أربعة منها تواجه الجهات الأصلية الأربع.

* عدد أعمدة المسجد (٤٠) عمودًا.

* للمسجد(٤) أبواب: باب داوود، باب الجنة، باب الأقصى، الباب العربى.

* يتوسط البناء الصخرة المشرفة، وهى ترتفع عن الأرض مترًا ونصف، وطولها ١٧.٥٠ مترًا، وعرضها ١٣.٥ مترًا.

**** حائط البراق:**

* الذى ربط فيه الرسول دابة البراق، ليلة أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

---

(١) المصدر: موسوعة فلسطين، معالم مدينة القدس، إعداد أسامة إسماعيل.

* يطلق اليهود عليه (حائط المبكى)، يذرفون عنده الدموع، ويقولون إنه بقايا أطلال هيكل سليمان.

صورة لمسجد قبة الصخرة

صورة للمسجد الأقصى